المادة:- حقوق الانسان والديمقراطية والحريات العامة
التدريسي:- د. زبن خلف نواف
المحاضرة:- الخامسة

Human rights, democracy and public freedoms
Teaching: - Dr. Zabn behind Nawwaf

حقوق الانسان في العصور الوسطى

حالة العرب قبل ظهور الاسلام : لقد كانت حياة العرب قبل الاسلام كما وصفها جعفر بن ابي طالب (رضي الله عنه) حينما سأله نجاشي الحبشة عن الدين الجديد الذي فارقوا فيه قومهم، فقال: (كنا قوما اهل جاهلية نعبد الاصنام، ونأكل الميتة، ونأكل الفواحش، ونقطع الارحام، ونسئ الى الجوار، ويأكل القوي منا الضعيف...)، فحياتهم كانت تموج بحركة عاصفة من الشهوات، والمآثم، وحب السيادة والعلو، يعيش افراد المجتمع فيها برباط الولاء للقبيلة، وما يتبعه من تناصر على قاعدة (انصر اخاك ظالماً او مظلوماً) واقدم معاهدة لديهم هي(حلف الفضول) فقد كانت توجههم تقاليد متوارثة حالت بينهم وبين الانخراط في حضارات عصرهم.

لقد كانت طبائعهم اشبه ما تكون بالمادة الخام التي لم تنصهر بعد في اي من المدنيات المجاورة، فكانت ترى فيها الفطرة الانسانية السليمة، والنزعة القوية الى الاتجاهات الانسانية الحميدة كالوفاء والنجدة والكرم والاباء والعفة، الا انهم كانت تعوزهم المعرفة التي تكشف لهم الطريق، فكان يغلب عليهم عدم معرفتهم للطريق الصحيح، فيقتلوا الاولاد والمعروفة بعادة (واد البنات) بدافع الشرف والعفة، ويتلفوا الاموال الضرورية بدافع الكرم، ويثيروا فيما بينهم من معارك بدافع الاباء والنجدة.

وقد وضح جعفر بن ابي طالب (رضي الله عنه) عظمة الدين الاسلامي على الانسانية في حديثة مع النجاشي بقوله(...حتى بعث الله الينا رسولاً منا، نعرف نسبه، وصدقه، وامانته، فدعانا الى الله لنوحده ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد نحن واباؤنا من الحجارة، والاوثان، وامرنا بصدق الحديث، واداء الامانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم، والدماء، ونهانا عن الفواحش، وقول الزور، واكل مال اليتيم، وقذف المحصنات، وامرنا ان نعبد الله وحده، ولا نشرك به شيئاً، وامرنا بالصلاة والزكاة والصيام...).

حقوق الانسان في الدين الاسلامي:

لقد كان لظهور الاسلام في الجزيرة العربية، الدور الكبير في توحيدها بعد ان كانت متفرقة، متناحرة، تحكمها العادات، والتقاليد القبلية التي مزقتها الثارات والعصبيات، فكانت القبيلة تمثل الوحدة السياسية في النظم الاجتماعية، فكان الدين الاسلامي ثورة على الظلم، وسلطان الكهنة وشعوذتهم، فجاءت الشريعة بأحكام تنظيم مختلف شؤون الحياة، وتحقق السعادة للبشر، وتعمل على بناء مجتمع قائم على التضامن، والمساواة بين جميع ابناء الانسانية كما جاءت بها (صحيفة المدينة) التي وضعها الرسول (صلى الله عليه وسلم.

فقد اكد الدين الاسلام مبادئ اساسية كثيرة منها:

١-**مبدأ التوحيد:** هو عدم الاشراك بالله، كما قال الله تعال في كتابه: (الله لا اله الا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما في السماوات وما في الارض من ذا الذي يشفع عنده الا بأذنه يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء وسع كرسيه السماوات والارض ولا يؤوده حفظهما وهو العلي العظيم) والايمان بالله وبالأنبياء والملائكة والكتب السماوية والحياة الاخرة.

٢-**مبدأ العمل:** فالعمل اساس للارتقاء بالإنسان، ومقاييس هذا العمل ان يكون مرتبطاً بالصالح العام، فقد اكد الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم العمل الصالح لأنه احدى الوسائل للقاء الانسان بربه، كما قال الله تعالى: (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون).

٣-**مبدأ بناء الامة (الاداة):** بما ان التوحيد ثورة فلا بد لها من اداة وهي بناء الامة كما قال تعالى: (وكذلك جعلناكم امة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً).

وهذه المبادئ نظرية، فقد دعا الدين الاسلامي الى تطبيقها بشكل عملي من خلال الدعوة الى التعبير مبتدئاً بنفوس الناس ونياتهم فهو اساس التطبيق، والمشاركة الفعلية في المبادئ النظرية اذ قول الله تعالى (ان الله لا يغيرما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم).

ويبين الله تعالى مسؤولية الفرد عن نفسه بقوله تعالى: (من يعمل مثقال ذرة خيراً يره، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره).

نظرة الدين الاسلامي الى الانسان:

ان الانسان كائن مكرم، وهو سيد الكائنات جميعاً، ذلك ما يحمله الاسلام في شريعته، وتصوره لكي تتعلم البشرية في كل زمان ومكان ان اغلى الكائنات واعظمها هو الانسان على ان يكون مؤمناً صالحاً لا جحوداً او شريراً.

ومما هو معلوم في شريعة الاسلام، ان الكون بما يحويه من اجزاء وتفصيلات ومركبات، مسخر اصلا للإنسان لينتفع به وبمحتوياته فيما يحقق له الخير والسعادة.

وقال عز وجل: (وسخر لكم ما في السماوات وما في الارض جميعاً منه ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون) وغيرها من الآيات الكريمة التي تكشف عن تكريم الانسان بتسخير الكون واجزائه له، وذلك من سماء وارض بما فيها من كواكب ونجوم وانهار وبحار وليل ونهار وزرع وماء وثمر كل ذلك قد جعله مسخراً لهذا الكائن المتميز.

ان الانسان هو سيد المخلوقات في هذا الوجود، وكل الوجود عابد لله سبحانه وتعالى يدين له بالتعظيم، ويق له بالألوهية الوحدانية، قال سبحانه: (تسبح له السماوات السبع والارض ومن فيهن وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم انه كان حليماً غفوراً).

ان البشرية في هذا الزمان تعاني الشدائد من ويلات، وكوارث وشرور كالقلق والاضطراب وافتقاد الراحة والسعادة.

ان الانسان هو الكائن المفضل المكرم الذي كتب الله له الصدارة في سلم الخليقة والكائنات جميعاً، قال سبحانه: (ولقد كرمنا بني ادم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفصيلاً).

ومن اولى الدلالات على افضلية الانسان، وتميزه على غيره في هذا الكون، وانه سيد الكائنات ان جعله الله في الارض خليفة وذلك اختيار رباني عظيم له

مدلوله الكبير الذي يذكر بأفضلية الانسان ان كان مؤمناً عاملا صادقاً، وذلك لما يناط به من عظيم الامانة والمسؤولية.

وما كان الانسان ليكون خليفة لو لا انه مشحون بزاخر المواهب، والطاقات، وعظيم القدرات، والاستعدادات التي تمكنه من هذه المسؤولية بالخلافة في هذه الحياة الدنيا قوله سبحانه وتعالى: (واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة).

كل الذي سبق ذكره عن الانسان المؤمن بالله الواحد الاحد وهو المكرم المفضل فقد حشد له الاسلام عناية كبيرة والحرص بالتشريع والاحكام ليعيش آمناً مطمئناً لا يمسه اذى او شر لا في نفسه ولا في نسله او في ماله.

ولتأكيد ذلك في قوله عز وجل (لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم، ثم رددناه اسفل سافلين، الا الذين امنوا وعملوا الصالحات فلهم اجر غير ممنون).

فكان القرآن الكريم هو الاسبق في تقرير حقوق الانسان التي تنادي بها حضارات اليوم، فقد قدم الاسلام لائحة تفصيلية رائعة عن حقوق الانسان، ونظرته نظرة مبدئية الى الوحدة الانسانية واقامة الحضارة.

المصادر:

١-ماهر صبري كاظم: حقوق الانسان والديمقراطية والحريات العامة ،ط٢،مطبعة الكتاب، بغداد ٢٠١٠

٢-رياض عزيز هادي: حقوق الانسان-مضامينها-حمايتها،توزيع المكتبة القانونية بغداد ٢٠٠٩

٣-محمد سعيد مجذوب: الحريات العامة وحقوق الانسان، طرابلس- بيروت بلا،ت

٤-علي الدين هلال: الديمقراطية وحقوق الانسان في الوطن العربي،ط١،مركز دراسات الوحدة العربية ،لبنان، بيروت، ١٩٨٣

٥ -مصطفى ابراهيم الزلمي: حقوق الانسان في الاسلام